Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.26, Issue: 2019

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد السادس والعشرون، 2019م.

المَتَاهَةُ وَالمُخَلِّصُ قـراءةٌ في حصـاد معـركة "المـرايا"

أ.د. مصطفى محمد رزق السواحلي

الأستاذ بكلية اللغة العربية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
سلطنة بروناي، دار السلام

Abstract

Labyrinth and Savior: Readings in the harvest of the battle of "mirrors"

Battle of mirrors is one of the biggest critical battles in the last twenty years. It has started when ‘Abd Al-Aziz Hammudah issued his book: “The convex mirrors” in 1998, whereas he criticized the Structuralism and Deconstructionism declaring their falling of introducing a critical alternative of the other schools. Then, he published “The concave mirrors” in 2001, whereas he attacked the Arab modernists who translated the western theories wrongly and minimized the image of the Arab heritage intentionally. Then, he published his third book: “The exit of maze” in 2003 in which he tried to define the features of the alternative critical theory. These three books have been considered as the most important Arab critical works in the last two decades, which enabled the author to obtain the State Award for the Arts and Literature in 2002. Actually, the battle caught the attention of the majority of Arab thinkers to participate in this critical war.The researcher attempts to summarize its fruitful harvest and its dimensions: Timing, whence the United States of America tried to

impose its cultural model on the world; Seriousness of its issue whereas is not that it is a personal debate between ‘Abd Al-Aziz Hammudah and Jabir Asfour, but the originality vs Westernization; Privacy of the critic who is one of few who combined the experience of Arab heritage with Western theories; The creative titles, as the author chose the rhetorical titles for his series summarizing the contents perfectly; The huge echoes that covered the Arab world from Ocean to Gulf; and finally the magnificent results, especially regarding the suggestion to reread the Arab heritage and western theories as well.

Key words: ‘Abd Al-Aziz Hammudah - convex mirrors - concave mirrors – exit from maze.

ملخص البحث

تُعَدُّ معركة "المرايا" أكبر معركةٍ نقديَّةٍ في السنوات العشرين الأخيرة، وقد بدأت بإصدار عبد العزيز حمودة كتابه: "المرايا المحدَّبة" عام 1998م، والذي هاجم فيه "الحداثة النقديَّة" بجناحَيْها البنيويِّ والتفكيكيِّ مهاجمةً شَرِسَةً، مبينًا مدى تهافت منطقهما، وفشلهما في تقديم بدائل للمدارس النقديَّة الأخرى، ولكنَّ أنصار المدرستين يُصوِّرن إنجازهما النقديَّ أكبر من الواقع كما تفعل المرايا المحدَّبة. وفي عام 2001م أصدر المؤلِّف كتاب: "المرايا المقعرة"، وفيه أثخن الحداثيِّين العرب بسياط النقد؛ لأنَّهم لم يحسنوا النقل عن الغرب، ودعوا إلى قطيعة معرفيَّة معالتراث العربيّ، وصوروا حجمه في صورةٍ مصغَّرةٍ محتقرةٍ، كما تفعل المرايا المقعَّرة.وقد حاول ردَّ الاعتبار للبلاغة العربيَّة في عصرها الذهبيِّ، وبخاصة على يد عبد القاهر الجرجانيّالذي قدَّم في كتابيْه: "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"؛ نظريَّة أدبيَّة متكاملة تشهد بعبقريَّة العقل العربي. وفي عام 2003م أصدر الناقد كتاب: "الخروج من التيه"، حاول فيه تحديد معالم النظرية النقديَّة البديلة التي دعا إليها، حتى نتمكن من الخروج من التيه النقدي المعاصر. وقد اعتبرت المؤلفات الثلاثة

أهمَّ نتاج نقديٍّ عربيٍّ في العقدين الماضيين، مما أهَّل المؤلف للحصول على جائزة الدولة التقديريَّة في الفنون والآداب عام 2002م. لكنَّ المعركة حول ثلاثيَّتهملأت الدنيا وشغلت الناس، إذ شنَّ عليه اليساريُّون العرب حربًا شعواءكانتْ محورًا لعدد غير قليل من الدراسات النقديَّة.ويحاول هذا البحث تلخيص حصاد هذه المعركة، من حيث دلالة توقيتها في حقبةسعتْ فيها الولايات المتحدة الأمريكيَّة إلى فرض نموذجها الثقافيّ على العالم. ومن حيثُ خطورة موضوعها؛ فهي ليست خاصَّةًبقطبي المعركة: عبد العزيز حمودة، وجابر عصفور، وإنَّما بين تيار الأصالة في مواجهة تيار التغريب. ومن حيثُخصوصية الناقد؛ إذ جمع عبد العزيز حمودة بين التشبُّع بالثقافتين العربيَّة والغربيَّة.ومن حيثُ إبداع عناوينها؛ إذ أضافت العناوينُ البارعةُ للمعركة زخمًا هائلًا بما تحمله من دلالات لغويَّة وإيحائيَّة، تلخِّص محتواها في دلالة رمزيَّة موحية بالغة الثراء.ومن حيثُ قوَّة أصدائها؛ حيث ملأت معركة المرايا الدنيا وشغلت الناس، ولم تقتصر على طرفَي الصراع، بل اجتذبت كثيرًا من المثقفين للخوض في غمارها. وأخيرًا من حيثُ وروعة نتائجها، وحسبها أنَّها فتحت الباب أمام كثير من المراجعات الفكريَّة، في الثقافتين العربيَّة والغربيَّة معًا، وكشفتْ عُوار كثير من المؤسسات الثقافيَّة، كما أعادت الثقةَ للنقاد العرب، مؤكدة أنَّ لديهم رصيدًا نقديًّا هائلًا يمكن استثماره في تكوين نظريَّةٍ أدبيَّةٍ عربيَّةٍ خالصةٍ.

الكلمات المفتاحية: عبد العزيز حمودة – المرايا المحدَّبة – المرايا المقعَّرة – الخروج من التيه.

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاةُ والسلامُ على من بعثه ربُّه معلمًا، فعلَّم الجاهل، وقوَّم المائل، وميَّز الحق من الباطل. أما بعد:

فإنَّ المعارك الأدبيَّة والمساجلات الفكريَّة تُعَدُّ من أكثر العوامل التي تضخُّ الدماء في شرايين الحياة الأدبيَّة، فتُكْسِبها حيويَّة، وتزيدها نضجًا، وتعصم مياهها

من الأَسَنِ الناجمِ عن الركود، وتُثْرِيها بمادةٍ لا تنقطع من قرائح العقول المُتَساجلة، ولواقحِ الأفهام المتنازلة، ورحم الله القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ (ت392هـ) إذ يقول: "كَمْ من فضيلة لو لم تستَثِرْها المَحاسد لم تبرحْ في الصدور كامنة، ومَنْقَبَةٍ لو لمْ تُزْعِجْها المنافسة لبقيتْ على حالها ساكنة! لكنَّها برزتْ فتناولتْها ألسنُ الحسَّد تجلوها، وهي تظنُّ أنَّها تمحوها، وتشهَرُها وهي تحاول أنْ تستُرَها؛ حتى عثَر بها مَن يعرف حَّقها، واهتدى إليها مَنْ هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسن معرِض، واكتست من فضله أزينَ ملبس؛ فعادت بعد الخمول نابهةً، وبعد الذبول ناضرةً، وتمكنت من برِّ والدها فنوّهتْ بذكره، وقدَرت على قضاء حقِّ صاحبها؛ فرفعتْ من قَدْره [وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ]". [1]

ومهما تكن هذه المعارك النقديَّة مصوغة بلغةٍ ساخرةٍ مَشُوبةٍ بالغَمْز واللَّمْزِ حينًا، وبالسبِّ الصريح تارة، وبالعصبيَّة الفكريَّة آونةً، وبتصفية الحسابات أحيانًا أخرى فإنَّ المتلقي يجد فيها لذَّةً بالغةً، ويفيد منها أيَّما إفادة، وقديمًا قيل لأحد العلماء: فيم لذَّتُك؟ قال: "في حُجَّةٍ تتبخْترُ اتِّضاحًا، وشُبهةٍ تتضاءلُ افتضاحًا". [2]

والواقع أنَّه لا يمكن أن تنهض العلوم إلا عن طريق المثاقفة النقديَّة، وقد ذهب كثيرٌ من فلاسفة العلم إلى أنَّ أفضل معاني العقل هو الانفتاح للنقد، أي الاستعداد لأنْ تنتقد، والرغبة في نقد الذات، وإذا كان الأمر كذلك، أي إذا كان النقد تعريفًا للعقل؛ فإنَّ العلم عقليٌّ؛ ذلك لأنَّ العلم مؤسسة معيارها النقد، وليس بالإمكان تطور أيِّ علم من العلوم مع غياب الحدِّ الأدنى من المعتقدات النظريَّة والمنهجيَّة المتكاملة التي يدعم بعضها بعضًا، وتسمح بالاختيار والتقييم والنقد. [3]

وقد حفل القرن العشرون بجملة من المعارك الأدبيَّة التي شملت كافة جوانب الحياة الفكريَّة، [4] تبارزتْ فيها قاماتٌ فكريَّةٌ شامخةٌ في شتَّى القضايا، بِلُغَةٍ تدور

بين العنف والهدوء، وبقراءةٍ تمضي بين السطحية والعمق، وبتحليلٍ موزَّعٍ بين الذاتيَّة والموضوعيَّة، وبنفوسٍ متقلِّبَةٍ بين التجرُّدِ والهوى، لكنَّها بخيرها وشرها ترسم صورةً واضحةً للعصر بكلِّ ما يحمل من اضطرابٍ وقلقٍ وتحوُّلٍ.

وقد خمدتْ جَذوةُ تلك المعارك في الثلث الأخير من القرن العشرين بصورة تحتاج إلى دراسة تكشف عن الأسباب السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة التي أدَّت إلى ذلك السكون الفكريِّ الأقرب إلى الموات، ولكن قبل نهاية القرن بأقل من سنتين اسْتَعَرَتْ معركة "المرايا" التي وصفت بأنَّها "أمّ المعارك"، أو "معركة نهاية القرن"، وهي المعركة التي يضطلع هذا البحث بالحديث عن حصادها الغزير، وثمارها اليانعة.

معركة المرايا: تُعَدُّ معركة "المرايا" أكبر معركة نقديَّة ختم بها القرن العشرون، واستُفتح بها القرن الحادي والعشرون، وقد صدق ماهر شفيق فريد حيث قال عند صدور كتاب "المرايا المقعرة" عام 2001م: "هذا –بلا امتراء –كتاب العام، بل كتابُ أعوامٍ كثيرةٍ مُقْبلةٍ".(5)

وفي تقديري أنَّ الخصومة النقديَّة فيها قد أَثْرَت الحياة الأدبيَّة بزادٍ وفيرٍ ما كان له أن تحصل عليه لولا قيام هذه المعركة، وأعادت الحراك للمياه الراكدة التي كادت تتغير رائحتها، بسبب طول الركود، حيث تحصَّنَ أنصار التراث وأنصار الحداثة، كلٌّ في خندقه لعدة عقود، دون أن تنشب مواجهةٌ شاملةٌ كتلك التي أحدثتها معركة المرايا.

وليس من همِّ هذا البحث أن يدخل في التفاصيل العلميَّة الدقيقة لهذه المعركة، فهي متعددة الجوانب، وتمتد من التراث إلى الحداثة، وتتحرَّك بين نتاجٍ ضخمٍ بلغاتٍ عديدةٍ، وتثير قضايا محوريَّة في مجالات أدبيَّة ونقديَّة وفلسفيَّة، فضلاً عن تعلقها بمسألة الهويَّة، وارتباطها بنظريَّة المؤامرة لدى البعض، كما أنها درات حولها كتب وأطروحات عديدة، فضلًا عن كمٍّ هائلٍ من المقالات امتدَّتْ في العالم العربيِّ من المحيط إلى الخليج، وإنَّما هي قراءاتٌ عامَّة في حصاد هذه المعركة،

ودلالاتها ليس في مجال الأدب والنقد فحسب، بل في مجال الثقافة والتاريخ والاجتماع وأخلاقيَّات البحث... وغيرها مما لا تزال توابعُ زلزالها تتوالى حتى هذه الساعة.

أولا: دلالة التوقيت: وقعتْ هذه المعركة قُبَيْل غروب شمس القرن العشرين، واستمرت مع بداية القرن الحادي والعشرين، وهو توقيتٌ في غاية الأهمية سياسيًّا وثقافيًّا، سواءً على الصعيد العالميِّ، أم على الصعيد المحليِّ المصريِّ.

فعلى الصعيد العالميِّ سقط الاتحاد السوفيتيّ، وانفردت أمريكا بقيادة العالم، ونادى بعض المؤرِّخين بما أسموه "صدام الحضارات"، أو صدام الأصوليَّات، وأعلنوا نهاية التاريخ، ووقعت بُعَيْد ظهور الجزء الثاني من الثلاثيَّة أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، والتي كانت بمثابة جرس إنذار لطوفانٍ قادمٍ يُدمِّر كلَّ شيء، ويكتسح ثقافات الشعوب المستضعفة كما يكتسح السيلُ الأتيُّ الزَّبَدَ الطافي، ويذهب به جفاءً، وبمثابة قناع تُشَرْعِنُ به الهيمنة الأمريكيَّةُ توحُّشَها واستكبارها تحت ستار مكافحة الإرهاب؛ مما جعل لزامًا على المستضعفين المتشبثين بأهداف ثقافاتهم المحاربَةِ أن يزدادوا بها تمسُّكًا حتى لا يغرقهم طوفان العولمة.

وعلى الصعيد المصريِّ جاءت بعد فترة من انقطاع المعارك الأدبيَّة دامت أكثر من ثلث قرن، فأعادت إلى الأذهان تلك الفترة الذهبيَّة للكتابة الأدبيَّة في مطلع القرن العشرين والتي كان عمادها المعارك الفكريَّة التي دارت بين أقطاب الأدب والثقافة في مصر، بحث يمكن أن نعدَّها "أهمّ جدل عرفته حياتنا الأدبيَّة منذ جدل رشاد رشدي وتلاميذه، مع محمد مندور وزملائه وتلاميذه في مطلع ستينيَّات القرن الماضي حول قضية استقلال الفنِّ عن كافَّة الاعتبارات الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والسياسيَّة والدينيَّة، أو كونه أداةً في خدمة المجتمع".[6]

وعلى الصعيد الثقافيِّ تزامنت هذه المعركة مع لحظة احتضار اليسار الثقافيِّ، حيث بدأتْ رموزُهُ تتساقط، ولم يظهر في جيل الشباب مَنْ يحمل الراية

بنفس الزَّخَم الذي كان لتلك الرموز من قبل، وإنْ بقيتْ لهم شوكةٌ أو قُلْ مراكز قُوَى في بعض المنابر الثقافيَّة والإعلاميَّة، فأنت عندما تقرأ المقالات المنشورة في تلك الفترة تشعر باحتضار ذلك التيار اليساري فيما يُشْبه رقصة المذبوح، وهذه عَيِّنةٌ من عناوين المقالات التي نشرت في جريدة "أخبار الأدب" الناطقة بلسان اليسار الثقافيّ: "الكتابة بين سلطان السياسة وتجار الدين"، "وليمة لأعشاب القهر"، "الفاشية تطارد الأدب"، "أوكار الرجعية في مصر"، "ربما ينجو الأدب من مصير الديناصورات"، "إعلان العصيان ضدَّ محرمات الثقافة"، "تقديمُ مثقَّفٍ كبيرٍ قربانًا للآلهة الجدد"، "المثقفون في مواجهة مُتَعَهِّدِي الأخلاق ومُقَاولي القيم"، "مَنْ الذي نصَّبَ نفسَه مقيمًا لشعائر الجمال؟"... إلى غيرها من المقالات التي تنضح بالحقد على التيار الإسلاميّ الذي يُعَزِّزُ مواقعه يومًا بعد يوم، والحسرة على أفول نجم التيار الشيوعيِّ، وهو ما تجلَّى في بعض المعارك الصغرى التي أشعلها اليساريون حول جملة من القضايا الأدبيَّة والثقافية، مثل رواية الكاتب السوري حيدر حيدر "وليمة لأعشاب البحر"، ومصادرة رواية الكاتب السعودي عبد الرحمن منيف "مدن الملح"، وفَصْل نصر حامد أبو زيد من كلية الآداب... إلى غيرها من المواجهات بين التيار الإسلاميِّ الصاعد، واليسار الثقافيِّ الآفل.

ثانيًا: خطورة الموضوع: لم تكن معركة "المرايا" متعلقة بقطبي المعركة شخصيًّا: عبد العزيز حمودة، وجابر عصفور، وإنَّما بين تيار الأصالة في مواجهة تيار التغريب، أو بين الثقافة الشرقيَّة والغربيَّة، وهو سؤال ظل يطرح نفسه منذ أن اصطدم العرب بالغرب، وتجلت هذه الثنائية في كلِّ أو جلِّ الروايات التي تتحدث عن تلك الثنائية القديمة المتجدِّدة، مثل: "عصفور الشرق"، لتوفيق الحكيم، و"قنديل أم هاشم"، ليحيى حقي، و"الحي اللاتيني"، لسهيل إدريس، و"موسم الهجرة إلى الشمال"، للطيِّب صالح... وغيرها من كلاسيكيات الرواية العربيَّة.

ولا شكَّ أن معركة هذا محورها جدُّ خطيرة؛ لأنَّها تتعلق بالهوية الثقافيَّة، التي يرى تيار الأصالة ضرورة الحفاظ عليها في مواجهة طوفان العولمة الذي يعمل

على فرض ثقافته بكلِّ أبعادها الدينيَّة والثقافيَّة والحضاريَّة على الأمم المغلوبة، بينما يرى المستغربون أنَّها ضرورة حضاريَّة للَّحاق بركب العالم المتقدم، وهي قضية دائمًا ما تثير استقطابًا حادًّا بين ثقافة المقاومة في مواجهة ثقافة الانبطاح؛ حيث ينقسم حولها المفكرون إلى فُسْطَاطَيْنِ: الأول يتَّهم الحداثيِّين بالتنكر للتراث، والانسلاخ من الهويَّة العربيَّة والإسلامية، وتشكيل طابور خامس لصالح المدِّ العلمانيِّ المتدثِّر بعباءة العولمة، وتعمد المبالغة والتهويل في النتائج التي توصلوا إليها مع أنها لا تعدو أن تكون تقديمًا للنبيذ القديم في كؤوسٍ جديدةٍ، فضلًا عن التبعية العمياء لكل ما هو مستورد من الغرب. والثاني يَّتهم الفريق الأول بالتخلُّف والرجعيَّة، والعيش في أسمال الماضي، ومعاداة كل ما هو جديد وطريف، ومناهضة الاستنارة، والتحجُّر الفكري إلى غير ذلك من تهمٍ ينضح بها قاموس الحداثة.

إنَّنا نرفض نقل مدرسة نقديَّة أفرزتها حضارة ذات دين، ومناخ ثقافيٍّ، وفكر فلسفيٍّ، وأعراف اجتماعيَّة بعينها إلى حضارة مغايرة تمامًا لها في كافة العناصر السابقة؛ لأنَّ العلوم الماديَّة لا وطن لها، بخلاف العلوم الإنسانيَّة فإنَّها تصطبغ بكل عناصر الهوية الحضاريَّة شئنا أم أبينا، ومن ثم فإننا نرفض ما قاله محمد غنيمي هلال وهو يقدم مجموعة من المذاهب الأدبيَّة الغربية، إنَّها "قد نشأت في أصلها متفرِّقة في آداب مختلفة، وتصارعتْ فيما بينها على مرِّ العصور، وأسفر هذا الصراع عن بقاء ما يفيد الفن والفكر منها، فعمَّت الآداب العالميَّة على الأثر، وتداولتها فيما بينها، وتعاونت كلُّها على تثبيت دعائمها، فأصبحت تيارات فنية عالمية، وموردًا عامًّا يمتاحه ذوو المواهب من مختلف الأمم، وميراثًا مشتركًا للإنسانية جمعاء، لا مظنَّة لمأخذٍ في الإفادة منه، فلسنا في تأثرنا بها بدعًا في تاريخ الفنِّ والنقد العالميِّ، إذ التعاون العالميُّ في تاريخ الأدب والفنون، كالتعاون العالميِّ في تاريخ العلم، كلاهما طريق لكمال التراث القومي والنهضة به؛ حرصًا على مسايرة ركب التقدم في العالم، وهذا ما يتم في جميع الآداب ضرورة؛ لأنه من طبيعة الأشياء التي لا تتخلف، سواءً أراد ذلك دعاة التخلف أم لم

يريدوا".[7]

وفي الوقت نفسه نحن ندعو إلى قراءة الآخر، والانتقاء مما يقدمه، ومحاولة صبغ النافع منه بصبغتنا الحضاريَّة، مؤمنين أنَّ "الحسم والبساطة اللتين ترفض بهما المناهج النقديَّة الغربية أحيانًا هما نفس الحسم والبساطة اللتين تقبل بهما تلك المناهج أحيانًا أخرى، والمؤكَّد أنَّه لا الرفض بحد ذاته قادرٌ على إضعاف حضور تلك المناهج في سياقات حضاريَّة غير سياقاتها، ولا مجرد القبول متمكن من منح تلك المناهج صفة الحياد الذي يمكنها من الانسجام الكامل داخل أطر عير أطرها الأصلية".[8]

فنحن نؤمن بضرورة الانفتاح على الآخرين؛ إذ لم يعد هذا ترفًا فكريًّا كما كان من قبل، بل ضرورة حضاريَّة في عصر الانفجار المعرفي والسماوات المفتوحة، ولكنَّنا لا ندعو إلى أخذ جميع ما أفرزته الحضارة الغربية، ونقلها نقلًا أعمي دون وعي بالخصوصيات الثقافية والحضارية، ودون محاولة لاجتثاث هويتنا من الوجود؛ وقد نقل عن "هيرودوت" أنَّ أحد ملوك الفرس استدعى جماعة من الإغريق الذين يحرقون موتاهم، وسألهم عن الثمن الذي يمكن أن يأخذوه كي يلتهموا آباءهم بعد الوفاة بدلاً من الإحراق، فأجابوا بأنَّه لا شيء على وجه الأرض يمكن أن يغريهم بذلك، ثم أدخل عليهم جماعة ممن يأكلون آباءهم بالفعل بعد الوفاة، وسألهم أمام الإغريق عن الثمن الذي قد يرتضونه لإحراق آبائهم بعد الوفاة، فتعالت صرخاتهم، وناشدوه ألا يذكر مثل هذه الشناعة.[9]

ثالثًا: خصوصيَّة الناقد: لعلَّ من مفارقات القدر أنَّ الذي أشعل هذه المعركة ليس رجلًا تراثيًّا على نمط العلامة محمود شاكر إذ كتب "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا"، والتي نبَّه فيها منذ وقت مبكر إلى خطورة الهويَّة الثقافيَّة، باعتبارها الجُنَّة التي تعصم الأمَّة من الذوبان في عالم طغيان القوى الاستعماريَّة، ليس في مشهدها السياسيِّ والعسكريِّ، بل في مشهدها الثقافيِّ، وهو الأخطر بلا ريب، فلو حمل هذه الراية ناقدٌ عربيٌّ تُراثيٌّ لأوسعه الخصوم تهمًا بالجهل والتخلُّف

والرجعيَّة، ولكنَّ الذي حمل راية الخروج من التيه، ووقف في وجه المدِّ التغريبيِّ، ورابَطَ في خندق ثقافة المقاومة، وكشف كثيرًا من الزيف عن الحداثيين هو رجلٌ متخصِّصٌ في الأدب الإنجليزيّ، وقد درس في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وهو عضو في المجلس الأعلى للثقافة في مصر، الذي يسيطر عليه اليساريُّون والعلمانيون منذ عقود، فكان شاهدًا من أهلها. وهو في الوقت نفسه متضلِّعٌ في الأدب العربيِّ، وتلك ثنائيَّةٌ قلَّ أنْ توجد لأحدٍ؛ فهو ينفرد من بين جميع النقاد العرب الذين حاولوا التماس أصول نظرية نقديَّة عربية في تراثنا الهائل "بأنَّه الوحيد القادم من حقل الدراسات الإنجليزيَّة والأمريكيَّة، وأنَّ معرفته الوثيقة بحركات النقد الأوربيِّ والأمريكيِّ منذ أرسطو حتى يومنا هذا قد مكَّنته من أنْ ينظر إلى التراث النقديِّ العربيِّ من منظور فكريٍّ وحضاريٍّ جديد، مما يمنح كتابه مذاقًا متميِّزًا ينماز به عن أصحاب الدراسات العربيَّة".(10)

وخيرُ ما تمخَّضَ عنه هذا التنوعُ الثقافيُّ الثريُّ المُثْرِي هو ميلادُ ناقد لا يعرف الحَوَلَ الفكريَّ؛ إذ كان داعية للوسطيَّة الفكريَّة، وخصمًا لَدُودًا للفكر الأُحاديِّ الإقصائيِّ الذي يسيطر على الساحة فريق في أقصى اليمين، وفريق في أقصى اليسار، وهو يقف بين الفريقين متبنيًا منهجًا فكريًّا قائمًا "على علاقة الوسطية والتوازن والتكامل يرفض مبدأ الأحاديَّة الإقصائيَّة، المادية أو المثاليَّة، الذي يتبناه المنهج العلمانيُّ، بل يخالفه كليًّا؛ لأنَّ مبدأ الأُحاديَّة يختزل الواقع إلى أحاديَّة واحدة في تعليلاته وفي رؤيته، وهي إمَّا أحادية ماديَّة تختزل الواقع أو الوجود إلى عناصره الأولية الماديَّة، وتقصي ما عدا ذلك، كما عند الاتجاهات التجريبيَّة الغربيَّة، أو أحاديَّة مثاليَّة، تختزل الواقع إلى عناصر مثاليَّة، وتلغي ما دون ذلك، كما عند الاتجاهات الذاتيَّة الغربيَّة".(11)

وحسبنا دليلًا على هذه الرؤية المتسامحة البعيدة عن التعصُّب قوله في مقدمة كتابه "علم الجمال والنقد الحديث": "ولكن قيمة ما يقوله الناقد الحديث لا تتعلق عندي في قليل أو كثير باختلافه أو اتفاقه مع "كروتشى"، وإلا أصبحتُ

متعصِّبًا أعمى لا يستطيع التمييز إلا بعين واحدة، صحيح إنَّ "كروتشى" خانه الصواب في أكثر من موضع في نظريته الجماليَّة، بل إنَّه ليصل في بعض الأحيان إلى حد التردي في أخطاء واضحة، ولكنَّه أيضًا ترك بصمات لا تمحى على وجه النقد الحديث".[12]

رابعًا: إبداع العنونة: تُعَدُّ عتبة العنوان أهمَّ عتبات النصّ؛ لأنَّ العنوان أولُ ما تقع عليه عينُ القارئ، وهو من أعظم المُغْريات باقتناء الكتاب، لأنَّه الذي يحدد هُويَّته، بل يرسم ببلاغته كثيرًا من أبعاده؛ فلا جرم أن يكون العنوان من الكتاب بمنزلة الرأس من الجسد.[13]

والحقيقة أنَّ الثلاثية النقديَّة لعبد العزيز حمودة تحمل في عناوينها دلالاتٍ رمزيَّةً بالغة الثراء، لا يجوز غضُّ الطرف عنها، بل لا يجوز أن تقرأ الكتب بمعزل عن دلالاتها، فالخطاب يقرأ من عنوانه كما يقال في المثل المصريّ.

وقد اختار الناقد كلمة المرايا في اثنين من عنوانين كتبه، ولا شكَّ أنَّ المرآة أداة للكشف، ووسيلة للتصوير، وهي موجودة منذ زمن قديم جدًّا، مما أعطاها حضورًا راسخًا في الوجدان الإنساني عامَّة، فلا يكاد يستغني أحد عنها في حله وترحاله، لأنَّها المستشار الصادق الذي يجلي لك العيوب دون حَيْفٍ أو مُجاملةٍ؛ فلا جرم أن ترتبط بها كثير من الخرافات والأساطير، وأن تدور حولها مقاربات عديدة في مجال الأحلام، والتنبؤ بالمستقبل.

والذي يهمنا من أنواع المرايا نوعان: المرايا المحدَّبة (Convex mirror)، وهي تلك المنحنية قليلًا إلى الخارج، مما يؤدي إلى تكبير الصورة، فيراها الناظر أكبر من الواقع الحقيقي. والمرايا المقعرة (Concave mirror) وهي تلك المنحنية قليلًا إلى الداخل، مما يؤدي إلى تصغير الصورة، فيراها الناظر أصغر من الواقع الحقيقيّ.

وقد بدأ الناقد ثلاثيَّته بكتاب "المرايا المحدَّبة"، وقد افتتحه بالحديث عن المرايا التي فرضت نفسها عليه قائلًا: "المرآة المقعَّرة تقوم بتصغير الأشياء بشكل

مُخِلٍّ يشوِّهُ حقيقتها، لكنَّ المرايا المحدَّبة تقوم بتكبير كلِّ ما يوجد أمامها، وتزيِّفُه حسب زاوية انعكاسه فوق سطح المرآة، قد تقوم المرآةُ بتضخيم الرأس أو الساقين، أو منطقة الوسط والقلب، ولكنَّها وبصرف النظر عن زاوية الانعكاس تُبالغ في حقيقة الشيء، وتزييف حجمه الطبيعي".(14)

ومن الواضح أنَّه يرمز بهذا العنوان إلى ما قام به الحداثيُّون العرب من تضخيمٍ مبالغٍ فيه للنظريات النقديَّة الغربية، وبخاصة البنيويَّة والتفكيكيَّة، مما جعل الناس يعطونها أكثر من حقها، فهي ليست أداة صادقة، ولكنَّها أداة خادعة، تزيف واقعًا صغيرًا، وتضخمه في عين المتلقِّي.

وفي مقابل المرايا المحدبة تأتي "المرايا المقعرة"، وهو العنوان الذي اصطفاه للكتاب الثاني من ثلاثيَّته، والذي يرمز بعنوانه إلى حالة التقزيم والتحقير المُجْحِف الذي تعرضت له البلاغة العربيَّة على يد المنغمسين في أوحال الحداثة، على حين أنَّ تلك البلاغة في عصرها الذهبيِّ لم تترك قضيَّة أدبيَّة أو لغويَّة أو نقديَّة إلا طرقتها بفهم مستنير بعيد عن الشطط والغلو الذي تتميز به جلُّ النظريات المعاصرة.

وفي وسط هذا الركام الهائل من النظريات، وبين طرفي التضخيم والتقزيم، يصرخ الباحثون عن الحقيقة: فهل إلى خروج من سبيل؟ وهنا يأتي الكتاب الثالث عام 2003م بعنوان: "الخروج من التيه"، حيث تتجلى كلمة التيه أو المتاهة (labyrinth)، وهي كلمة ضاربة الجذور في الثقافة الإغريقيَّة القديمة، حيث أقدم سكان جزيرة ما على عمل ممرَّات ومنحنيات متشابكة وشعاب معقَّدة للغاية، يكون من الصعب جدًا الخروج منها، من أجل التخلص من كارثة بيولوجيّة حلَّتْ بالجزيرة الهادئة، وهذه الكلمة رسمت أبعاد ذلك التيه النقديِّ ابتداءً من الشكليَّة الروسيَّة وانتهاء بالنقد الثقافيِّ وما بينهما من مذاهب، ولا سبيل إلى الخروج من ذلك التيه إلا بالبحث عن نظرية نقديَّة عربية تحفظ على الثقافة العربيَّة هُويَّتها في وقت يحاول فيه أصحاب الثقافات الغالبة ابتلاع هويَّات الأمم المغلوبة.

خامسًا: قوَّةُ الأصْداء: لقد كانت معركة المرايا بمثابة صخرةٍ عظيمةٍ أُلْقيتْ في نهر الإبداع، فحرَّكَتْ أواذيَّه حتى رمت العَبْرَيْن بالزَّبَد، يقول ماهر شفيق فريد: "مرايا حمودة – ما تحدَّب منها وما تقعَّر – هي مرآة العقل النقدي الحديث، بما له وما عليه، وهي الخطوة الأولى على دَرْبٍ لاحبٍ طويلٍ سيخطو عليه دارسو المستقبل، موافقين ومخالفين، ولكنَّهم في كلِّ الأحوال سيظلون مدينين للرجل الذي أطلق إشارة البدء، وأتاح لنا ساعات من الفكر الخصب العميق".(15)

نعم، لقد ملأت هذه المعركة الدنيا وشغلت الناس كما قال ابن رشيق عن شعر المتنبِّي، وحسبها أنَّها لم تقتصر على القطبين المتصارعين: عبد العزيز حمودة، وجابر عصفور، بل اجتذبت كثيرًا من المثقَّفين للخوض في غمارها من أمثال: محمود أمين العالم، ويمنى العيد، وفؤاد زكريا... وغيرهم، ودارت في فلكها مجموعة هائلة من المقالات في الصحف المختلفة، كما دارت حولها دراسات علمية عديدة امتدت من مشرق العالم العربي إلى مغربه؛ مما أعطى زخمًا لحراكٍ أدبيٍّ بَعُدَ العهد بمثله، وحسب الباحث أنَّه في تتبعه أصداءها الثقافيَّة قد وقف على ما يلي:

1- أكثر من خمسين مقالة بأقلام كبار المثقَّفين العرب من المحيط إلى الخليج، وفي تقديري أنَّ حصاد هذه المعركة أضعاف هذا العدد، بل يحتاج إلى ببليوجرافيا شاملة.

2- أربع رسائل علمية في دراسة هذه الثلاثيَّة، هي:

(أ) الدكتور عبد العزيز حمودة والهوية الواقية (دراسة نقديَّة لثلاثيته النقدية). رسالة ماجستير بجامعة التحدي، بمدينة سرت، ليبيا، للباحثة: مبروكة أفحيمة سليمان. 2007م.

(ب) عبد العزيز حمودة وجهوده في النقد الأدبي العربي. رسالة ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية والعربيَّة للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، للباحث:

سعودي إبراهيم عوض الله حسن. 2012م.

(ج) المشروع النقدي المابعد حداثي "الخروج من التيه "لعبد العزيز حمودة" أنموذجًا. رسالة في كلية الآداب واللغات، بالجزائر، للباحثة: عفاف زيقم. 2016م.

(د) مساءلة التفكيك في المرايا المحدبة والخروج من التيه لعبد العزيز حمودة: مقاربة من منظور نقد النقد. رسالة ماجستير للباحثتين: زينب فتني، شفاء الميطة، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر. 2016/ 2017م.

3- خمسة كتب تدور حول الثلاثيَّة تأييدًا أو رفضًا، هي:

(أ) الخطاب النقدي عند عبد العزيز حمودة دراسة في المنهج والنظرية؛ لأحمد عدنان حمدي الوتار، العراق: جامعة الموصل. 2002م.

(ب) تشريح النقد: في نقد مشروع عبد العزيز حمودة؛ لنبيل محمد صغير، بيروت: منشورات ضفاف. 2015م.

(ج) الخطاب النقدي عند عبد العزيز حمودة؛ لأحمد عدنان حمدي، الأردن: دار المأمون. 2016م.

(د) مفهوم التراث في النقد الحديث المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة أنموذجًا؛ لعبلة بن حامد. 2016م.

(هـ) المشروع النقدي العربي عند عبد العزيز حمودة؛ لعويشات حيزية. جامعة المسيلة بالجزائر. 2018م.

4- مؤتمرٌ علميٌّ عقدته رابطة الأدب الإسلاميِّ بالقاهرة بعنوان: المشروع النقديّ للدكتور عبد العزيز حمودة، عام 2008م، قدمت فيه أكثر من عشرة أبحاث حول الناقد وثلاثيَّته.

ولا يسعني إلا أنْ أشير إلى كثرة النتاج المتمَحْور حول الكتب ما بين مقالات وكتب ورسائل علميَّة، وامتداد المعركة عبر العالم العربي من المحيط إلى الخليج، واجتذابها جُلَّ الرموز الثقافية العربيَّة بتيَّاريْها الإسلاميِّ الملتزم والحداثيِّ

العلمانيِّ، وتعدد الرؤى ومنافذ النشر، فضلًا عن الطبيعة النزاليَّة للمعركة، حيث استخدمت فيها لغةٌ حادَّةٌ وقاسيةٌ في بعض الأحيان، وتلك طبيعة المعارك الكليَّة المتعلقة بالمنطلق الفكريِّ للمتحاورين.

سادسًا: روعة النتائج: هناك بعض المعارك الدونكيشوتيَّة التي تثير غبارًا كثيفًا دون طائل، ويصدق عليها المثل العربيّ: "جعجعة ولا أرى طِحْنًا"؛ فالغبار الذي تُثيره، والضجيج الذي تُحدثه أكبر بكثير من العطاء الحقيقِّي الذي تتمخَّض عنه. لكنَّ معركة المرايا ليست من هذا القبيل، فقد أحدثت ضجيجًا هائلًا، وأثارت خيول المتحاورين في الجو نقعًا كثيفًا، ولكنَّ النتائج التي ترتبت عليها كانت من الثراء والروعة بمكان، وحسبنا أن نجمل القول بالإشارة إلى هذه الثمار:

1- أنَّها فتحت الباب أمام المراجعات الفكريَّة ليس للتراث النقديِّ فحسب، بل للتراث العربِّي كلِّه، فقد نقل خالد فهمي أنَّ أحد أساتذة القانون المشهورين هاتف عبد العزيز حمودة يومًا ما وقال له: لقد استطعتَ أن تصنع ثقبًا واسعًا في جدار حديدي (يقصد الحداثة الغربية)، وقد أعطيتنا شجاعةً بأن نحاول أن نثقب هذا الثقب في جدار الدراسات القانونية، وأن نبحث كما بحثت عن نظرية عربية قانونية.[16]

وفي تقديري أنَّ هذه المراجعات الفكريَّة من أهمِّ واجبات الوقت، فالتعنُّت من أخطر موبقات الفكر قديمًا وحديثًا، ولن تجني البشرية من ورائه إلا مزيدًا من الإقصاء، فلسنا وحدنا في هذا العالم، ومن الضروري "أنْ ننظر بعين التسامح، بل وبعين الاحترام إلى العادات وقوانين الأعراف التي تختلف عن عوائدنا وأعرافنا".[17]

2- أنَّها كشفت كثيرًا من خلفيات الحرب الثقافيَّة الباردة، فقد شهد القرن العشرون جملة من التغيرات الجوهرية سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا، وكان سقوط الاتحاد السوفيتي، وسيطرة أمريكا على العالم سياسيًّا وعسكريًّا أغراها بالسيطرة الفكريَّة والثقافيَّة في زمن "صدام الحضارات" و"نهاية التاريخ"، وقد

خرجت البنيويَّة والتفكيكيَّة من رحم الثقافة الأمريكيَّة التي تريد فرض هيمنتها على العالم، وابتلاع كافَّة الثقافات الأخرى.

3- أنَّها أحْيَتْ مصطلح "الهويَّة الواقية" ذلك المصطلح الذي صكَّه عباس محمود العقَّاد (ت1964م) منذ أكثر من نصف قرن حيث قال: "فاتّساع العلاقات العالمية قد صاحَبَتْه الدعواتُ التي ترمي إلى تطبيق النظم الاجتماعيَّة على العالم كلِّه، ولا تقنع بانحصارها في وطن واحد... وقد تبين أنَّ الحيويَّة الواقيَّة كانت ألزم للعالم العربي في هذا الدور مما كانت في جميع الأدوار الماضية منذ ابتداء النهضة في العصر الحديث. فإنَّ الدعوات العالمية خليقةٌ أن تجور على كيان القومية، وأن تؤول بها إلى فناء، كفناء المغلوب في الغالب. وإن شيوع الثقافة خليق أن يمسخها، ويشوه معالمها؛ لأنَّه قد يُضَحِّي بالعمق والنفاسة في سبيل الضحالة والإسفاف".[18]

4- أنَّها كشف عُوار كثير من المؤسسات الثقافيَّة التي يتحكم فيها النقد المؤَدْلج الذي يقيس الآثار الأدبيَّة والنقديَّة لا بمقياس ما تتضمنه من قيمٍ فنيَّة، وإنَّما بما تحمله من أفكار وأيدولوجيات فلسفيَّة، حتى ساد المصطلح المصري العاميِّ "الشِّلَلِيَّة" في نعت كثير من القائمين على النقد في مصر، والمتحكِّمين في منافذ النشر، وجوائز الدولة، والمناصب الثقافيَّة.

5- أنَّها كشفت عن فرق جوهري بين الثقافة العربيَّة والثقافة الغربيَّة، فالأخيرة تقوم على التحوُّلات المتعاقبة؛ لأنَّ النقد عندهم مرتبط بالفلسفة، وعندما تتغير الرؤية للكون والعالم تتغير مناهج النقد بالضرورة، وكل مدرسة تمارس مع أختها مبدأ "كلَّما دخلت أمَّة لعنتْ أختها"، وهو ما يتضح في فكر المدارس الرمزيَّة، والتعبيريَّة، والداديَّة، والسرياليَّة، والعبثيَّة، البنيويَّة، التفكيكيَّة، مما يعكس حالة التمرُّد والقلق الذي يعيشه الإنسان في الغرب بسبب فقدان الإيمان، والرغبة في التحديث المستمر ليجد الناسُ طعمًا للحياة. وفي المقابل يتسم النقد العربيُّ بالثبات الشديد، بسبب رسوخ المبادئ الفلسفيَّة التي يعتمد عليها المثقف العربي

في نظرته للكون والحياة.

6- أنَّها كشفت عوار كثير من النظريات النقديَّة الغربية الحداثية سواء من حيث بنيتها الفكريَّة، أم من حيث لُغَتِها؛ أمَّا من حيث بنائها الفكري فهي قائمة على فلسفة عدمية عدها ماهر شفيق فريد من علامات الساعة حيث يقول: "عندي أنَّ تفكيكيَّة دريدا وأقرانه على لمعانها الفكريِّ من علامات الساعة؛ إذ تومئ إلى فقدان الإيمان بكلِّ الثوابت، وسيادة النسبية المطلقة، وفوضى القراءة، وموت المؤلف، وغياب النصِّ، ومن ثمَّ فهي مؤشِّر إلى اضمحلال الفكر الغربيِّ، وغلبة العدمية المعنوية عليه، واقترابه من الموت".(19)

وأمَّا من حيث لغتها فقد صاغ أدبيَّاتها سدنة أصنام الحداثة بلُغَةٍ مُلْغِزَةٍ مليئةٍ بالتعالم هي أشبه ما تكون بلغة أَحْجِبَة السَّحَرَة، ليبقى الدهماء في حالة من الشعور بالعجز واتهام النفس بالعجز والغباء، وهو ما انتقده عبد العزيز حمودة غير مرة، حيث يقول إنه عندما كان يقرأ مجلة "فصول" وهي منبر النقد الأدبي الحداثي يخالطه شعور عميق بالعجز "عن التعامل مع هذه الدراسات البنيوية، وفهم أهدافها، بل فهم وظيفة النقد ذاته، في ظل المصطلحات النقديَّة المترجمة، والمنقولة، والمنحوتة، والمحرفة التي أغرقونا فيها لسنوات. ومما كان يعمق ذلك الإحساس بالعجز تلك الرسوم التوضيحية (يفترض أنَّها كذلك!)، والبيانات والجداول الإحصائية، والرسومات المعقدة من دوائر ومثلثات، وخطوط متوازية ومتقاطعة وساقطة، والتي كانت تبعدني وما زالت حتى اليوم عن الأعمال الأدبيَّة موضوع المناقشة، بدلاً من أن تقربني منها، فقد كنت أقف أمامها في عجز كامل عن فكِّ طلاسمها أو شفرتها كما يحلو للبنيويين أن يقولوا. وطوال تلك السنوات كنت أنحي باللائمة على جهلي وتخلفي عن اللحاق بركب الدراسات الأدبية، والنظريات النقديَّة الحداثية".(20)

7- أنَّها أعادت الثقة للنقاد العرب، مؤكدة أنَّ لديهم رصيدًا نقديًّا هائلاً يمكن استثماره في تكوين نظرِّية أدبيَّة عربيَّة خالصة، وأنَّ لديهم تراثًا جديرًا بإعادة

الاكتشاف والانتفاع بذخائره، وبخاصة في زمن ازدهار البحث البلاغي والنقدي، وتحديدًا على يد عبد القاهر الجرجانيّ (ت471هـ)، وهو ما نهض بعبئه عبد العزيز حمودة، فإذا كان كتابه "المرايا المحدَّبة" قائمًا على الهدم، أو على التخلية –بلغة الفقهاء –فإنَّ كتابه الثاني قائم على البناء، أو التحلية بلغة الفقهاء أيضًا، وفيه يؤكد أنَه "لا تكاد توجد قضية انشغل بها الحاضر النقدي لم ينشغل بها – أو يتوقف عندها على الأقل – العقل العربي من القرن الثالث، وحتى نهاية العصر الذهبيِّ للبلاغة العربيَّة، على رأس هذه القضايا: موضوعيَّة الأدب، الأدب والغايات العملية والأخلاقية، التجسيد في مقابل التقرير، المعادل الموضوعيّ، النصّ المغلق والنصّ المفتوح، المعنى ومعنى المعنى أو تعدد الدلالة، الموهبة والتقاليد، قوة الرجل وقوة اللحظة، مراوغة المدلول للدالِّ، المجاز كمكمِّل للمعنى أو زيادة عليه (بالمفهوم الدريدي)، التحليل اللغويّ للنص الأدبي، وعشرات الموضوعات الأخرى التي انشغل بها نقاد القرن العشرين".(21)

وحسب هذه المعركة أنَّها فتحتْ كلَّ هذه الأبواب، ونكأت كلَّ تلك الجراح، وأوقدتْ كل هذه النيران التي علم بها القاصي والداني، فمنهم من وجد فيها دفئًا ونفعًا في أمر معاشه، ومنهم من احترق بها، وتبقى الحقيقة المطلقة غائبة، ونحن نقضي أعمارنا في البحث عنها، وحسبنا صدق النيَّة، وسلامة القصد.

الخاتمة

بعد هذه الجولةِ الشَّائقةِ الشَّائكةِ لا أقول في أَتُونِ معركة المرايا، بل على هامشها يجدر بي أن أرصد جملةً من النتائج التي تمخَّض عنها هذا البحث:

1– تُعَدُّ المعارك الأدبيَّة من أكثر العوامل التي تضخُّ الدماء في شرايين الحياة الأدبيَّة، فتكسبها حيويَّة، وتزيدها نضجًا، وتعصم مياهها من الأَسَنِ الناجمِ عن الركود، وهو ما قامت به معركة المرايا التي سمَّاها كثير من النقَّاد بمعركة القرن.

2– تزامنتْ هذه المعركة مع مرحلة مفصليَّة في تاريخ البشريَّة، حيث بدأت ملامح

الهيمنة الغربية المطلقة في عالم أحادي القطب، تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وتسعى إلى فرض نموذجها الثقافي على البشريَّة بأسرها.

3- لم تكن معركة "المرايا" متعلقة بقطبي المعركة: عبد العزيز حمودة، وجابر عصفور، وإنَّما بين تيار الأصالة في مواجهة تيار التغريب، أو بين الثقافة الشرقية والغربية، وهو سؤال ظلَّ يطرح نفسه منذ اصطدام العرب بالغرب.

4- جمع عبد العزيز حمودة بين التشبع بالثقافتين العربيَّة والغربية، وهو ما يفتقده كثير من النقاد المعاصرين، وهو في الوقت نفسه لم يعرف الميل أو التعصب الأعمى، بل كان نموذجًا للوسطية الفكريَّة الراشدة.

5- أضافت عناوين الثلاثية النقديَّة للمعركة زخمًا هائلاً بما تحمله من دلالاتٍ لغويَّةٍ وإيحائيَّةٍ، لا تجذب المتلقي للقراءة فحسب، بل تلخص محتواها في دلالة رمزية موحية بالغة الثراء.

6- ملأت معركة المرايا الدنيا وشغلت الناس كما قال ابن رشيق عن شعر المتنبي، وحسبها أنَّها لم تقتصر على طرفي الصراع، بل اجتذبت كثيرًا من المثقفين للخوض في غمارها من أمثال: محمود أمين العالم، ويمنى العيد، وفؤاد زكريا... وغيرهم، ودارت في فلكها مجموعة هائلة من المقالات في الصحف المختلفة، كما دارت حولها دراسات علمية عديدة امتدت من مشرق العالم العربي إلى مَغْربه؛ مما أعطى زخمًا لحراك أدبيٍّ مثمرٍ، بَعُدَ العهدُ بمثله.

7- فتحت معركة المرايا الباب أمام كثير من المراجعات الفكريَّة، في الثقافتين العربيَّة والغربية على حدٍّ سواء، وكشفت عوار كثير من المؤسسات الثقافية، كما أعادت الثقة للنقاد العرب، مؤكدة أنَّ لديهم رصيدًا نقديًّا هائلًا يمكن استثماره في تكوين نظريةٍ أدبيَّةٍ عربيَّةٍ خالصةٍ.

8- اتسمت المعركة بالكثير من العنف اللغويِّ، فقد تبادل الطرفان الاتهامات بسوء الفهم، وليّ أعناق النصوص، وتزييف الترجمة، فضلًا عن تهم الخيانة والعمالة والوقوف مع الطابور الخامس، وما كان ينبغي لمعركةٍ فكريَّةٍ أن تنحدر إلى هذا

اللون من ألوان الإسفاف البغيض مهما تباينت الرؤى، واختلفت المشارب.

الهوامش والمصادر

1 الجرجاني، علي بن عبد العزيز. (د. ت). الوساطة بين المتنبي وخصومه. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي. بيروت: المكتبة العصرية. ص1–2، والنص القرآني المقتبس من الآية 261 سورة البقرة.

2 التوحيدي، أبو حيان. (1988م). البصائر والذخائر. تح: وداد القاضي. بيروت: دار صادر. 96/2.

3 كون، توماس. (1992م). بنية الثورات العلمية. ترجمة: شوقي جلال. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (168). ص46.

4 تحدث أنور الجندي في سفره الضخم: "المعارك الأدبية في مصر منذ 1914–1939م" عن خمس وستين معركة نقدية خلال هذه المدة الوجيزة، وأشار في نهايته إلى أن المجلد الثاني من كتابه بعنوان: المساجلات والمعارك الأدبية يضم خمسين معركة أخرى، لكنني لم أقف على المجلد الثاني، ولا شكَّ أن استقصاء المعارك في شتى الأقطار العربية على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين يمكن أن يكشف عن نحو ألف معركة.

5 فريد، ماهر شفيق. (2008م). هوامش ثقافية. القاهرة: دار البستاني. ص139.

6 فريد، ماهر شفيق. (2008م). هوامش ثقافية. (مصدر سابق). ص145.

7 هلال، محمد غنيمي. (1976م). دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده. القاهرة: نهضة مصر. ص57–58.

8 البازعي، سعد عبد الرحمن. (1997م). ما وراء المنهج: تحيزات النقد الأدبي الغربي. ضمن كتاب: إشكالية التحيز: رؤية معرفية، ودعوة للاجتهاد. تحرير: عبد الوهاب المسيري. ط2. أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 271/1.

9 بوبر، كارل. (2003م). أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية. تحرير: مارك نوترنو. ترجمة: يمنى طريف الخولي: الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (292). ص65.

10 فريد، ماهر شفيق. (2008م). هوامش ثقافية. (مصدر سابق). ص140.

11 حمدي، أحمد عدنان. (2016م). منهج عبد العزيز حمودة في كتاباته النقدية وإشكالية التحيز. منشور ضمن كتاب: "فقه التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد"، ضمن أعمال مؤتمر التحيز الثاني بالقاهرة، 2007م. القاهرة: دار السلام، بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا. ص53.

12 حمودة، عبد العزيز. (1999م). علم الجمال والنقد الحديث. تقديم: ماهر شفيق فريد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة. ص27.

13 مفتاح، محمد (1987م). دينامية النص: تنظير وإنجاز. المغرب: المركز الثقافي العربي. ص60.

14 حمودة، عبد العزيز. (1998م). المرايا المحدَّبة من البنيويَّة إلى التفكيك. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (232). ص6.

15 فريد، ماهر شفيق. (2008م). هوامش ثقافية. (مصدر سابق). ص144.

16 عبد الفتاح، مجد. (2006م). د. عبد العزيز حمودة. وداعًا رائد المقاومة بالنقد الأدبي. على الرابط (آخر زيارة 2018/8/15م): http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/showthread.php?17118

17 حمدي، أحمد عدنان. (2016م). منهج عبد العزيز حمودة في كتاباته النقدية وإشكالية التحيز. (مرجع سابق). ص66.

18 العقاد، عباس محمود. (2006م). دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية. ط2. القاهرة: نهضة مصر. ص9-10.

19 فريد، ماهر شفيق. (2008م). هوامش ثقافية. (مصدر سابق). ص145.

20 حمودة، عبد العزيز. (1998م). المرايا المحدَّبة من البنيويَّة إلى التفكيك. (مصدر سابق). ص11-12.

21 حمودة، عبد العزيز. (2001م). المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (سلسلة عالم المعرفة: 272). ص381.

*_*_*

*_*_*_*_*_*